صفات النصارى في الخطاب القرآني
(دراسة موضوعية تحليلية)

إعداد:

الدكتور سيكو مارافا توري
الأستاذ المساعد في قسم أصول الدين والدعوة
جامعة المدينة العالمية بماليزيا

الأستاذة شكران سعيد العرفي
معيد بقسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية بمدينة جدة

ملخص البحث

علم مقارنة الأديان من العلوم المهتمَّة بها مؤخرًا، وبالأخص في العالم الغربي، بينما عني به المسلمون منذ القدم. يرجع سبب اهتمام المسلمين بالملل والنحل من باب التوحيد مَعرفةً ودفاعًا. وهذا البحث معني بجانب من جوانب علم الأديان من حيث الوصف والبيان فقط، مع الربط القوي بينه وبين المصدر الأم للمسلمين، ألا وهو القرآن الكريم، فعني البحث بتخصص دراسات القرآن الكريم لذلك. يجد المتتبع أن القرآن الكريم ذكَر الكثير من صفات وأخلاق النصارى، من تواضع ورحمة ورأفة، وأمانة، كما يعقب ويذكر صفات أخرى مخالفة لتلكم الصفات؛ من مثل الفسق ونكران الحق واحتكاره. وهذا أمر يعطي لهذا البحث مكانه في هذا العصر، انطلاقًا من أن القرآن الكريم دستور يقبل ويعترف بالآخر، بذكر صفات حسنة عن صاحب دين آخر، بموضوعية ومنهجية ينقاد له كل عاقل؛ رغم اعتبار ذاك الدين دينا باطلا من حيث الانحراف الذي تسرب إليه عبر التاريخ، وعلى يد من يسمون برجال الدين.

القضية الأساسية لهذه الورقة هي بيان أهم صفات وأخلاق النصارى في القرآن، بتتبع الآيات القرآنية المعنية في هذا المقام بمنهج استقرائي، وتحليل أقوال العلماء فيها بمنهج تحليلي؛ **فيهدف البحث** إلى استخراج القيم الإنسانية الواردة في القرآن الكريم، والتي أضافه القرآن إلى النصارى ووصفهم بها. وإن البحث يهدف إلى بيان مدى مرونة القرآن وسلاسته في بناء علاقته مع الآخر والتعامل معهم على أساس البر القسط أو العدل والتسامح؛ بالحديث عن النصارى بكل موضوعية. يضاف إلى هذا أن مثل هذا البحث يعتبر –بمقتضى العولمة وما نتج عنها من سوء فهم للإسلام أو الخوف منه– فرصة لإيصال مدى ما يتصف به القرآن من قيم إنسانية سامية، يشترك في إدراكها كل عاقل منصف، بل إن معظم هذه القيم الإنسانية تدعو إليها النصرانية ومعظم الأديان الأخرى، إضافة إلى القوانين الوضعية. ومن أهم نتائج البحث أن القرآن وصف النصارى أينما وجدوا بجملة صفات حميدة تارة؛ بحكم اتباعهم الأخلاق السامية التي يدعو إليها دينهم، وبجملة صفات ذميمة أخرى؛ بحكم خروجهم عن تعاليم دينهم كما يرى الإسلام. وهذا العمل من القرآن يعتبر في غاية التوافق والوئام بين تعاليم القرآن من جهة، وفي غاية الموضوعية

والإنصاف من جهة أخرى. علاوة على أن قدم السبق في دراسة الأديان للمسلمين؛ ولا عجب، إذ أن كتابهم المقدس هو الوحيد من مجموع الكتب المقدسة -كما يعبر عنه في دراسات الأديان- الذي وسعه الآخر وأفرد له مجالات للحديث والبيان والنقد بمنهجية واضحة ومتزنة.

الكلمات المفتاحية: صفات النصارى، النصرانية، الأخلاق، الموضوعية، التفسير الموضوعي، الخطاب القرآني.

المقدمات المنهجية:

المقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، اللهم رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا من لدنك علما.

فيعتبر **القرآن الكريم** الكتاب المقدس أو النص المؤسس عند المسلمين، وهو شامل ومتضمن للكثير من المسائل وقضايا الأديان، التاريخية منها والعقدية والتشريعية والأخلاقية، كما لا يخفى على من له اطلاع بسيط عليه، وإن كانت هذه القضايا تأتي تبعًا للغاية الكبرى التي من أجلها أنزل القرآن -توحيد الله-، **لكن للأسف لم يحظ بالدراسة اللازمة**، المبينة لمنهجه وطريقته وأسلوبه في بيان الأديان الأخرى، والقضايا التي ناقشها عن الأديان.

وإن القرآن الكريم **كتاب يدعم القيم الإنسانية** ويخاطب المشاعر دومًا لتفعيلها، ويركز عليها كطريق لبناء العقيدة السليمة والتوصل إليها معطيا الفطرة والعقل دور الحكم، وفي هذا الصدد نجده يذكر الكثير من صفات وأخلاق النصارى، من تواضع ورحمة ورأفة، وأمانة، كما يعقب ويذكر صفات أخرى مخالفة لتلكم الصفات؛ من مثل الفسق ونكران الحق واحتكاره. وهذا أمر يعطي لهذا البحث مكانه في هذا العصر، انطلاقًا من أن القرآن دين يقبل ويعترف بالآخر، بذكر صفات حسنة عن صاحب دين آخر، بموضوعية ومنهجية ينقاد له كل عاقل.

إشكالية البحث:

في ظل الصراعات الفكرية والأيديولوجية النابعة من مجموع النظرات الكونية المتباينة، يحاول الكثير من الباحثين في حقول العلوم الإنسانية والسياسية والانثروبولوجيا البحث عن إيجاد نقاط توافق بين الفئات المعنوية، وتم طرح الكثير من النظريات المساهمة من مثل حوار الأديان، وتلاقح الحضارات ونظرية الأخلاق العالمية "Global Ethics"، ولا شك

أن الدين من أهم العناصر التي تذكر في هذا الصدد، ومن هنا تكمن الإشكالية في دراسة مدى الاستفادة من الدراسات الإسلامية والفكر الإسلامي في جمع العالمين، وبيان ما هو أصيل في التعاليم الإسلامية مما يساهم في الدعوة أولًا وفي إبراز السماحة الإسلامية بكل موضوعية وإنصاف.

أسئلة البحث:

١-هل يمكن ذكر السمات الأخلاقية للآخر؛ مع وجود فروقات جوهرية في العقيدة والرؤية الكونية؟

٢-هل تطرق القرآن الكريم إلى بيان صفات النصارى؟ وما هي هذه الصفات؟

٣-وهل ثمة لقاء وعناصر مشتركة بين الإسلام والنصرانية في محور الأخلاق؟

أجوبة البحث:

١-إيجاد منهج علمي في إمكانية ذكر السمات الأخلاقية للآخر؛ رغم وجود فروقات جوهرية في العقيدة والرؤية الكونية.

٢-تتبع آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن صفات النصارى، وبيان هذه الصفات.

٣-دراسة العناصر المشتركة بين الإسلام والنصرانية في محور الأخلاق.

منهج البحث:

نظرًا بأن البحث يدور حول صفات النصارى في الخطاب القرآني، كان لابد من سلوك **المنهج الاستقرائي** في تتبع جزئيات الموضوع من القرآن الكريم أولًا، ويتطلب البحث التعرض **للمنهج التحليلي**، في حسن تتريل هذه الآيات على مظانها، علاوة على أنه لا غنى للبحث من المنهج الوصفي؛ وذلك في بيان قضايا البحث، وبخاصة حين التقعيد عن منهج الجمع بين الصفات المحمودة والمذمومة.

الدراسات السابقة:

أما عن الدراسات السابقة؛ فلعله يمكننا أن نعد هذه الورقة مساهمة وجديدة من نوعها، وذلك أن الدراسات السابقة لهذا الموضوع لم يعالج ما البحث بصدده، وإنما انصب معظمها على قضايا أخرى، من هذه الدراسات السابقة رسالة بحث بعنوان: "النصرانية في

القرآن الكريم"، لمؤلفه محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود. وكتاب Jesus in the Qur'an (**عيسى في القرآن**) لمؤلفه Geoffrey Parrinder (جيوفري باريندر)، وهو باللغة الإنكليزية. وكتاب: The Moslem Christ (**المسيح المسلم**)، كتاب قديم، فقد أُلف في ١٩١٢، وباللغة الإنكليزية، ألفه المستشرق Samuel Zwemer (صموئيل زويمر)، وكتاب النصرانية بين نبأ القرآن المجيد وخبر العهد الجديد تاريخًا وعقيدة، لمؤلفه جمال سعد محمود، وكتاب Jesus a prophet of Islam, (**عيس نبي الإسلام**)، لمؤلف محمد عطاء الرحيم. فهذه الكتب -وإن كانت تتناول النصرانية وتتكلم عن عيسى عليه السلام كما جاء في القرآن- إلا أنها عنيت بقضايا العقيدة بيانًا وردًّا، ولم تهتم بقضايا أخرى لها صلة بالنصرانية وتحدث عنها القرآن، ومن هذه القضايا: أخلاق وصفات النصارى في القرآن، وهذا ما سيركز عليه هذا البحث.

أولًا: مدخل منهجي عام:

لعل من الجدير بالذكر قبل بيان الصفات التي تحدث القرآن عنها ووصف بها النصارى الوقوف السمات العامة التي قد يعتبر تحليل محل نزاع، أو يقون مقامه، كما أن ذلك في الوقت نفسه يبين الأطر المنهجية والأسس العامة لقوام هذا البحث، وعليه يجدر دراسة النقاط الأربع التالية:

١-إذا استقرأنا الآيات القرآنية التي تتحدث عن النصارى، سواء بهذا اللفظ، أو بألفاظ أخرى من مترادفات النصرانية في القرآن، -مثل: أهل الكتاب، بنو إسرائيل، أهل الذكر، أوتوا الكتاب- نجد أن القرآن وصفهم بصفات **محمودة**، كما وصفهم بصفات **مذمومة**، وسنقف على كل منهما قريبًا.

٢-إذا ثبت هذا، فلا ينبغي أن يفهم أن القرآن يناقض نفسه، أبدًا، **فالقرآن ليس فيه اختلاف بتاتًا، بل يفهم كل في نطاقه وسياقه.** فمثلًا يقر العلماء بكفر مشركي مكة، كما يقرون بأنهم كانوا يحملون الأخلاق الحميدة من الشجاعة وإكرام الضيف والكرم، وإغاثة الملهوف والصدق[1] وما إلى ذلك. قلما يأتي باحث ما ويخرج من هذا أن من صفات مشركي مكة الصدق والصبر والحلم...، وأن من صفاتهم الكفر والفسق والعصيان، فيكون الباحث قد أخرج نتيجة الحقيقة الواقعة، ومن تمعن هذا يجد ألا تناقض بين الاثنين نهائيا، وهذا جزء من موضوعية القرآن والإسلام والمسلمين. يقول البيضاوي معقبًا على آية ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[المائدة: ٨٢] : "وفيه دليل على أن التواضع والإقبال على العلم والعمل والإعراض عن الشهوات محمود وإن كانت من كافر،"[2] وفي هذا دلالة واضحة على أن الكفر لا يمنع المسلم أن يصف الكافر بما هو أهله.

٣-تذكير بأن **نقطة الخلاف بين المسلمين والنصارى هي في العقيدة، لا في**

(١) من أوضح الأمثلة على هذا أبو سفيان، فقد قال الحق وصدق في كلامه مع ملك الروم، وهو كافر يومئذ، فلم يكذب خشية أن يعثر عليه كذبة. فهو كافر في اعتقاده صادق في أخلاقه. انظر: ابن هشام، أبو محمد عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، وآخرون، (القاهرة: مطبعة البابي الحلبي، د.ط، ١٩٥٥)، ج ٢، ص ٤٩٨.

(٢) انظر: البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، تفسير البيضاوي، (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١) ج١، ص٣٥٦.

الأخلاق، أعني أن المسلم يخالف النصراني في توحيده لله، وعدم الإشراك به بأي وجه من الوجوه، ونفي الولد عنه، وإثبات نبوة محمد، وهذا في العقيدة أو الإيمان، في مبحث الإلهيات والنبوات خاصة، أما في الأخلاق؛ فالكل يقر بحسن التحلي بمحاسن الأخلاق، والتخلي عن مساوئ الأخلاق، المسلم والنصراني وغيرهما، **إذا ثبت هذا؛ فإن كل ما يدخل في الصفات المذمومة التي وصف القرآن النصارى بها يرجع إلى العقيدة، وفي هذا مساعدة لتحصيل مزيد يقين بألا عجب ولا ضير في وصف القرآن النصارى بصفات مدح وصفات ذم، وألا تعارض أبدًا.** ولنأخذ مثالًا تقريبيًّا: لو ثبت أن القرآن وصف النصارى بالأمانة في المعاملات المالية خلافًا لليهود، أو أنهم رحماء وفيهم مودة ورأفة، ووصفهم من جهة أخرى بالفسق والخروج عن تعاليم دينهم وكتمان الحق، فلا ضير ولا مناقضة؛ وذلك أن الأمانة والرحمة بالخلق من الصفات التي يؤمن بها المسلم والنصراني، إلا أن الإسلام وصفهم بالفسق لاعتقاده أنهم بدلوا رسالة عيسى فيما يخص الإلهيات والنبوات، ففسقوا وخرجوا عن تعاليمه، فهل من تناقض؟!

٤-سيتم استخراج صفات النصارى بناء على استقراء الآيات التي تحدثت عن النصارى أو أهل الكتاب أو الذين أوتوا الكتاب أو بني إسرائيل، وبعد هذا سيرجع إلى أقوال العلماء فيمن هو المعني، وذلك لوجود بعض الصفات في الألفاظ المشتركة، هي ليست للنصارى **بل لليهود مثل الحسد وقتل الأنبياء وقسوة القلب ونقض العهود والفساد في الأرض والتكبر والعناد،**[(١)] ومن ثم إيراد أقوال العلماء في المسألة والترجيح بناء على تحليل الأدلة كما سنرى.

والآن لنقف على صفات النصارى في القرآن، وإن لم يكن عملنا هنا استقراء تام لصفاتهم؛ فإن أغلبها داخلة معنا، وهي كالتالي:

(١) لقد أحسن محمد عبد الله الشرقاوي في سرده مقومات الشخصية الإسرائيلية في القرآن، لكن معظمها خاصة لليهود، للتوسع انظر: الشرقاوي، محمد عبد الله، بحوث في مقارنة الأديان (القاهرة: دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢). ص ٣٣٤.

ثانيًا: الصفة الأولى: التواضع:

يذكر القرآن أن من صفات النصارى أنهم لا يستكبرون، ومن لا يستكبر فهو متواضع؛ إذ هما ضدان، يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير: "والاستكبار: السين والتاء فيه للمبالغة، وهو يطلق على التكبّر والتعاظم، ويطلق على المكابرة وكراهية الحقّ، وهما متلازمان. فالمراد من قوله: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (أنّهم متواضعون منصفون)."(١) نجد تقييد تواضعهم بالإنصاف واتباع الحق. ورد في الجلالين" ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود وأهل مكة، نزلت في وفد النجاشي القادمين عليه من الحبشة قرأ صلى الله عليه وسلم سورة يس؛ فبكوا وأسلموا، وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى."(٢) جاء هذا الوصف للنصارى في سورة المائدة، ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢]. لكن هل الآية محمولة على كل النصارى أينما وجدوا أم على طوائف معينة؟

من العلماء من يرى أن هذه الآية نزلت في **أقوام معينة**، وبالتالي تحمل عليهم فقط، ومنهم من **يعممها**؛ **فيُدخل النصارى كلهم** تحت هذا الوصف لموجب تعاليم دينهم، بين ابن عاشور أقوال العلماء في هذا الشأن؛ حيث ذكر أن ضمير ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يجوز أن يعود إلى ما عاد إليه ضمير – بأنّ منهم –، أي وأنّ الذين قالوا: إنّا نصارى لا يستكبرون، **فيكون قد أثبت التواضع لجميع أهل ملّة النصرانية في ذلك العصر**، وعلل بأنه قد كان نصارى العرب متحلّينَ بمكارم من الأخلاق، قال النابغة يمدح آل النعمان الغساني وكانوا متنصّرين:

مَجَلَّتُهم ذاتُ الإلهِ ودينُهم　　قويم فما يرجُون غيرَ العواقب

ولا يحسبون الخيرَ لا شرّ بعده　　ولا يحسبون الشرّ ضربة لاَزب

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير (تونس: دار سحنون، ١٩٩٧) ج ٧، ص ٨.

(٢) المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، تفسير الجلالين (القاهرة: دار الحديث، الطبعة الأولى، د. ت) ج ١، ص ١٥٣.

ولكن نجد ابن عاشور يعود ليعقب بأن ظاهر قوله ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ أنّ هذا الخُلُق **وصف للنصارى كلّهم**؛ من حيث إنّهم نصارى فيتعيّن أن يحمل الموصول على العموم العُرفي، وهم نصارى العرب، فإنّ إتّباعهم النصرانية على ضعفهم فيها ضَمّ إلى مكارم أخلاقهم العربية مكارمَ أخلاق دينية، كما كان عليه زهير ولبيد ووَرقة بنُ نوفل وأضرابهم، وضمير -﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ - عائد إلى قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا لأنّه أقرب في الذكر، وهذا تشعر به إعادة قوله وأنّهم ليكون إيماء إلى تغيير الأسلوب في معاد الضمير.[1]

لعل ابن عاشور يريد تقييد الآية بنصارى العرب، مع أنه يفهم من سياق كلامه: أن الآية قد يشمل النصارى كلهم، فلا أدري: لماذا العموم العرفي؟! إذ القرآن يقول: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾المائدة: ٨٢، علما أن سبب النزول[2] لا يؤيد ما ذهب إليه ابن عاشور، فإن أكثر العلماء يقولون بأنها نزلت في وفد النجاشي! فأين العموم العرفي؟!، ونجد أن ابن عاشور قد ذكر رأيًا آخر، وهو أن الضمير قد يرجع إلى القسيسين و الرهبان، فنحصل على رأيين من كلام ابن عاشور.

ذكر ابن كثير أن الآية **خاصة بوفد الحبشة**، نسب هذا الكلام إلى عدد من التابعين، ونسب إلى قتادة رأي آخر مفاده: أن **كل من اتصف بالنصارى بهذه الصفة فالآية تشمله**، فقد ذكر ابن كثير في هذا عن سعيد بن جُبَير والسُّدِّي وغيرهما أنهما نزلت في وَفْد بعثهم النجاشي إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ليسمعوا كلامه، ويروا صفاته، فلما قرأ عليهم النبي -صلى الله عليه وسلم- القرآن أسلموا وبَكَوا وخَشَعوا، ثم رجعوا إلى النجاشي فأخبروه. واختار ابن جرير: أن **الآية نزلت في صفة أقوام بهذه المثابة، سواء أكانوا من الحبشة أو غيرها.**[3]

وجدير بالذكر أن من العلماء من يعمم هذا الوصف لكل النصارى، يقول الثعالبي:

(١) المرجع السابق، والصفحة نفسها.

(٢) انظر: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول (الدمام: دار الإصلاح، ط ٢، ١٩٩٢.) ج ١، ١٣٦.

(٣) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم (الرياض: دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٩٩٩). ج٣، ص ١٦٦.

"ووصف الله سبحانه النصارى بأنهم لا يستكبرون وهذا موجود فيهم حتى الآن،[١] واليهودي متى وجد عزا طغى وتكبر".[٢] فعلى هذا يصلح أن يقال إن القرآن وصف النصارى بأنهم متواضعون، **ولعل هذا ما يميل إليه الرازي وما يميل إليه الباحثان،** فقد بين الرازي بعد أن عقد مقارنة طويلة بين النصارى واليهود، أن النصارى في أكثر الأمر معرضون عن الدنيا مقبلون على العبادة وترك طلب الرياسة والتكبر والترفع وكل من كان كذلك، فإنه لا يحسد الناس ولا يؤذيهم ولا يخاصمهم بل يكون لين العريكة في طلب الحق سهل الانقياد له، فهذا هو الفرق بين هذين الفريقين في هذا الباب وهو المراد بقوله تعالى: ذَلِكَ ﴿بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ المائدة: ٨٢.[٣]

وهكذا، فإن رأي معظم المفسرين لا يبعد عما بيّنه البحث من خلال ما أسرد من رأي الرازي، والثعالبي وابن كثير، والجلالين وابن عاشور.[٤]

فيرى الباحثان أن القرآن وصف النصارى بعدم الكبر، وأنهم متواضعون، والآية التي تفيد هذا نزل في وفد النجاشي، ولا ينبغي أن يعني هذا أنه خاص بهم فقط، أو خاص بالرهبان والقسيسين؛ لما أجمع عليه أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبت. ولا يقال أيضًا: أن هذا الوصف القرآني خاطئ، بدليل أن كل النصارى ليسوا متواضعين، فهذا الكلام يبطل ببيان العلة التي بينها الإمام الرازي سابقا، إذ حاصل العلة هو أن دينهم مبني على الحب والتضحية، ولا إيذاء فيه، فمن التزم بهذا من النصارى فلا شك أن نسميه

(١) عاش الثعالبي ما بين (٧٨٦-٨٧٥هـ).

(٢) الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن – المعروف بتفسير الثعالبي – (بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٧). ج ١، ص ٤٨١.

(٣) الرازي، محمد فخر الدين، مفاتيح الغيب (بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٩٨١). ج١٢، ص ٥٦.

(٤) للوقوف على أقوال العلماء لإدراك عدم مخالفة رأيهم عما ذكر الباحث يرجى الرجوع إلى: البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج١، ص٣٥٦؛ ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد شاكر (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠)؛ السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، تفسير السمرقندي، تحقيق: محمود مطرجي (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت) ج١، ص٢٤٩؛ والنسفي، تفسير النسفي، ج١، ص٢٧٨؛ والشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعرواي (القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٩١)، ج١، ص٢٣١٢.

نصراني متواضع آمن بنبوة محمد أو لا! سيزداد الأمر وضوحا، بعد بيان بقية صفاقم، خاصة الصفة التالية، والتي تليها.

ثالثًا: الصفة الثانية: الرحمة والرأفة:

من الصفات والأخلاق التي وردت في الخطاب القرآني في شأن النصارى: الرحمة والرأفة، يفهم ذلك من قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧]، فهو هبة إلهية أن يجعل الله اللين والشفقة في قلوب أتباع عيسى؛ لأن أساس دينهم الصفح والتسامح، وهو مبني على الحب وسعة الصدر، فلا جرم أن يسجله القرآن في حقهم.

لكن يا ترى هل الرحمة والرأفة في قلوب النصارى كلهم؟ وبالتالي يكون هذا الوصف القرآني عامًا، أو هاتان الصفتان مقصورة على أناس مخصوصين منهم؟ وهل رحمة ورأفة النصارى شاملة للناس كافة بغض النظر عن الدين والعرق واللون؟ فيعمم مفهوم الآية. أو أن الرحمة والرأفة فيما بينهم فقط؟

يجد المتتبع أن جميع هذه الاحتمالات واردة عن علماء المسلمين، فيرى ابن كثير: أن هذه الصفة مقصورة على الحواريين لكنهما شاملتان لجميع الخلق، مما يعني أن الرحمة والرأفة في قلوب الحواريين، لكنهم كانوا يحبون ويرحمون ويرأفون بجميع الخلق، لا النصارى فقط، يقول في ذلك: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ وهم الحواريون ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ أي: رأفة وهي الخشية ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالخلق."[1]

ويرى الثعالبي: أن الرحمة والرأفة فيما بينهم فقط، فقد قال: "والمراد بالرأفة والرحمة حب بعضهم في بعض وتوادهم".[2] ولعل هذا هو رأي الإمام الرازي؛ إذ لم يطنب ولم

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٨، ص ٢٩.

(٢) الثعالبي، الجواهر الحسان، ج ٤، ص ٢٧٣.

يطول في بيان هذا الأمر،[١] فقط نقل عن مقاتل ما يؤيد هذا الرأي، يقول: "قال مقاتل: المراد من الرأفة والرحمة هو أنهم كانوا متوادين بعضهم مع بعض، كما وصف الله أصحاب محمد -عليه الصلاة والسلام- بذلك في قوله (رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ)."[٢] ويرى الباحثان: أن لا حرج ولا مانع من تعميم مفهوم الآية، بحيث يمكن القول إن القرآن وصف النصارى -الذين اتبعوا عيسى، صح إتباعهم أو لم يصح- بأنهم أصحاب رحمة ورأفة، ويؤيد هذا الرأي أمور كثيرة، منها:

أ- أن تعاليم النصرانية فيها الكثير من الحث والحث الزائد على التسامح والحب والصفح، ومن أشهر الأمثلة على هذا ما جاء في كتابهم المقدس: "«لكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ.

٢٨ بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ.

٢٩ مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا، وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلاَ تَمْنَعْهُ ثَوْبَكَ أَيْضًا.

٣٠ وَكُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَخَذَ الَّذِي لَكَ فَلاَ تُطَالِبْهُ.

٣١ وَكَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ هكَذَا.

٣٢ وَإِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ فَضْل لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضًا يُحِبُّونَ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ."[٣] فمن تبع عيسى في هذا لا بد أن يكون رحيما! يشرحون دينهم على أساس الحب والتضحية، وأن اليسوع صلب فداء للبشرية، "الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ، لإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ."[٤] فحب جارك وحب الآخرين من حولك!

ب- وفي **مدخل منهجي عام** بين الباحثان أن الأخلاق مكان اتفاق بين المسلمين

(١) وفي هذا ملاحظة طيبة، لمن يريد التوسع في معرفة ما إذا كان الرازي هو من أتم تفسيره أولا؟ إذ بدا لي أن الأسلوب هنا يختلف عما عهدت من الرازي.

(٢) الرازي، تفسير الرازي، ج ٢٩، ص ٢١٣.

(٣) الأمثال، ١٩: ١١.

(٤) رسالة بولس، ٣: ٢٥.

والنصارى، فليس غريبًا أن يوجد في النصرانية الحب والمودة، وإن كان التثليث والبنوة كائن في عقيدتهم، ولا يعني هذا تفضيل الآخر على النفس. ثم إننا نجد في سياق الآية بعد الرأفة والرحمة **الرهبانية**، علمًا أنها ابتداع في رسالة عيسى كما صرحت الآية نفسها، وهذا يرد قول من وقف عند (الذين اتبعوه) فيقول: أن هذه الآية في الذين اتبعوه أو الحواريين، لا، بل في كل من ادعى الاتباع.

ج- من المنطق أن من رُزق الرحمة والرأفة، وكان سمة غالبة عليه، من الصعب التحكم فيها؛ بحيث يختار أن يرحم هذا ولا يرحم ذاك، فهو رحيم بالطبع، فلا يمكن حصره فيما بينهم.

د- ويؤيد هذا الرأي ما ذهب إليه ابن عاشور في تفسيره، فقد ذكر أن الرحمة والرأفة في قلوب من تبع عيسى سواء الحواري أو غيره، يقول: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ﴾ المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ أي عيسى في دينه كالحواريين وأتباعهم ﴿رَأْفَةً﴾ وهي اللين ﴿وَرَحْمَةً﴾ وهي الشفقة أي وجعلنا رأفة، أي أشد رقة على من كان يتسبب إلى الاتصال بهم ورحمة أي رقة وعطفاً على من لم يكن له سبب في الصلة بهم".(1) وعلى هذا فلا مانع من التعميم.

رابعا: الصفة الثالثة: المودة:

يصف القرآن الكريم النصارى كذلك بأنهم أقرب الناس مودة للمسلمين، وذلك في مقابل وصف اليهود بالعداوة الشديدة والكيد للإسلام، الآية التي تدل على هذا أتت بعد طول الحديث عن موالاة المسلمين لغيرهم، بعد أن طلب القرآن من أهل الكتاب: اليهود والنصارى عدم الغلو في الدين والعودة إلى دعوة موسى وعيسى، وأنهم بغير هذا فقد ضلوا السبيل، وهم فساق ملعونين على لسان موسى وعيسى -عليهما الصلاة والسلام-. بعد هذا نهى المسلمين عن موالاة غير المسلمين، ثم وصف القرآن النصارى بأنهم أقرب الناس مودة للمسلمين، نجد ذلك واضحًا جليًّا في سورة المائدة في الآية ٨٢، إذ يقول تعالى:

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٩، ص٣١٢.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

ولا يعني هذا أنهم لا يعادون الإسلام ولا المسلمين، لكن هم أخف حالًا من أصحاب الديانات الأخرى،(١) فالقرآن وصفهم بأنهم أقرب مودة للمسلمين، فهم ابن عاشور من الآية العموم، أي: إن عموم النصارى يوادّون المسلمين أكثر من غيرهم، ولا يوجد دين أتباعه يوادّون المسلمين أكثر من النصارى، يبين ابن عاشور أنه لما تقدّم من ذكر ما لاقى به اليهود والنصارى دعوة الإسلام من الإعراض على تفاوت فيه بين الطائفتين؛ فإنّ الله شنّع من أحوال اليهود ما يعرف منه عداوتهم للإسلام؛ إذ قال تعالى: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: ٦٨] ، فكرّرها مرّتين. وقال تعالى: ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾[المائدة: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٦١] فعلم تلوّنهم في مضارّة المسلمين وأذاهُم. وذَكر من أحوال النصارى ما شنّع به عقيدتهم، ولكنّه لم يحكِ عنهم ما فيه عداوتهم المسلمين... ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً ﴾ أي: أقرب النّاس مودّة للذين آمنوا، أي: أقرب الناس من أهل الملل المخالفة للإسلام.(٢)

وهذا عين ما ذهب إليه ابن كثير؛ فبين أن الآية تعم جميع النصارى؛ إلا أنه علل بحِكم رائعة، إذ توّه أن قوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ أي: الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح وعلى منهاج إنجيله، فيهم مودة للإسلام وأهله في الجملة، وما ذاك إلا لما في قلوبهم، إذ كانوا على دين المسيح من الرقة

(١) جُبل الإنسان على حب ما يراه حقًّا، ويدافع عن وجهة نظره ويحب من وافقه في ذاك، وبالتالي لا يرتاح كثيرًا إن صح تعبيري لمن خالف رأيه ويشن هجومًا عليه دومًا، هذا بالضرورة، وهذا هو سنة التدافع، ومن هذا الباب عبرنا بقولنا: ولا يعني هذا أنهم لا يعادون الإسلام والمسلمين.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٧، ص٥ – ٦.

والرأفة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [الحديد: ٢٧]، وفي كتابهم: من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر، وليس القتال مشروعًا في ملتهم.(١)

وليس رأي الإمام فخر الدين الرازي من هذا ببعيد، فقد ذكر رأي من يذهب إلى أن الآية مخصوصة بالنجاشي وقومه الذين آمنوا ثم أتى برأي آخر، لعله يفهم أنه رأيه؛ إذ أطال الشرح وختم به شرح الآية، وذكر عن آخرين أن مذهب اليهود أنه حبب إليهم إيصال الشر إلى من يخالفهم في الدين بأي طريق كان، فإن قدروا على القتل فذاك، وإلا فبغصب المال أو بالسرقة أو بنوع من المكر والكيد والحيلة، وأما النصارى فليس مذهبهم ذاك بل الإيذاء في دينهم حرام، فهذا هو وجه التفاوت، علة هذا التفاوت أن اليهود مخصوصين بالحرص الشديد على الدنيا، والدليل عليه قوله تعالى: "﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦]، فقرهم في الحرص بالمشركين المنكرين للمعاد، والحرص معدن الأخلاق الذميمة؛ لأن من كان حريصًا على الدنيا طرح دينه في طلب الدنيا وأقدم على كل محظور ومنكر بطلب الدنيا، فلا جرم تشتد عداوته مع كل من نال مالًا أو جاهًا، **وأما النصارى فإنهم في أكثر الأمر معرضون عن الدنيا** مقبلون على العبادة وترك طلب الرياسة والتكبر والترفع، وكل من كان كذلك فإنه لا يحسد الناس ولا يؤذيهم ولا يخاصمهم، بل يكون لين العريكة في طلب الحق سهل الانقياد له فهذا هو الفرق بين هذين الفريقين في هذا الباب وهو المراد بقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢.(٢)

ولعلنا يمكننا القول بعد هذا: أن القرآن وصف النصارى بمترلة لم يصف أحدًا من

(١) ابن كثير، التفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص١٦٧.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٢، ص ٥٦.

أهل الملل الأخرى بمثلها، ولا يمكن حصر فهم الآية على فئة أو طائفة منهم، لماذا؟ لأن من آمن منهم أصبح مؤمنا فهو ليس نصراني بعد إسلامه، وبالتالي: لا يصح أن يطلق القرآن عليه (نصارى) وهو قد أسلم، هذا من جهة، ومن أخرى: فإن القرآن استخدم أقربهم مودة للذين آمنوا، وضمير -هم- يرحع إلى النصارى لا محالة، إذ هو في مقابل الذين آمنوا، وإلا لصح أن يقال: ولتجدن أقرب المسلمين مودة للمسلمين الذين أسلموا. وهذا واضح البطلان، فلم يبق إلا أن نقول بعموم اليهود، علما أن العموم لا ينافي العكس كما مهّدنا به آنفًا.

خامسًا: الصفة الرابعة: الأمانة:

يقول تعالى واصفًا أهل الكتاب في سورة آل عمـــران: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥]. صيغة أهل الكتـــاب من الصيغ التي تستخدم في الحديث على النصارى.(١)

ويفهم من الآية أن أهل الكتاب ليسوا سواء، فمنهم الأمين كما أن منهم الخائن، فيحتمل أن يكون المقصود بالأمين **كلّ أمينٍ من أهل الكتاب**، سواء اليهود أو النصارى، والعكس صحيح فيفهم الأمر نفسه في صفة الخيانة، كما أنه يمكن القول أن **من أسلم منهم هو المقصود** بالأمين ومن لا فلا! وهذا الفهم وارد كما أن الفهم السابق وارد. وتحدث عن هذين الفهمين معظم العلماء.

وهناك فهم ثالث يفيد التخصيص؛ حيث يرى بعض العلماء أن هذه الآية نزلت في واقعة معينة **فتحمل على هذه الواقعة**، وبالتالي فإن المقصود بالأمين هو عبد الله بن سلام اليهودي الذي أسلم، ويقصد بالخائن فنحاص بن عازوراء. وهذا فهما من سبب الترول، وقد أورد الرازي بقوله: "الآية نزلت في أن رجلًا أودع مالًا كثيرًا عند عبد الله بن سلام ومالًا قليلًا عند فنحاص بن عازوراء؛ فخان هذا اليهودي في القليل وعبد الله بن سلام أدى

(١) انظر: سيكو مارافا توري، النصرانية في الخطاب القرآني، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم أصول الدين ومقارنة الأديان بكلية معارف الوحي والتراث بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠٠٧. ص ٥٠.

الأمانة".[1] لكن هذه المفاهيم الثلاثة من الآية غير كافية وغير مستقلة، فلا ينبغي حصر المقصود في سبب النزول أولا، كما أن المفهوم الأول والثاني قد يدخل في المراد، إلا أن ما ذُكر في التعليل لا يصلح أن يكون ضابطًا في الأمر، وعلى هذا يميل الباحثان إلى الرأي الذي ذكره العلماء في مقابل هذه الآراء الثلاثة، وهو أن المقصود بأهل الأمانة النصارى، والمقصود بأهل الخيانة اليهود، والدليل واضح؛ حيث إن اليهود هم الوحيدون الذين يدينون بالعرقية، وأنهم أفضل من غيرهم، وبالتالي ليس حرام عليهم أكل أموال الأميين، وهذا هو التعليل المصاحب للآية، فلا حرج من حمل الآية على هذا المفهوم. هذا وإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلئن كانت للآية سبب نزول لا يعني حصر مفهومها على ذاك السبب فقط.

يقول البيضاوي: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[آل عمران: ٧٥] كعبد الله بن سلام استودعه قرشي ألفًا ومائتي أوقية ذهبا فأداه إليه ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ﴾ كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارًا فجحده.

وقيل المأمونون على الكثير **النصارى**؛ إذ الغالب فيهم الأمانة والخائنون في القليل اليهود إذا الغالب عليهم الخيانة".[2] فذكر مرادين: الأول خاص بالواقعة، وقلنا لا يشترط التخصيص، والمراد الثاني هو ما أكّد الباحثان صحته، وقد ذكر السمرقندي ما ليس ببعيد من كلام البيضاوي.[3] ونجد صاحب البحر المحيط يذكر من ضمن معاني الآية أن الأمانة صفة النصارى والخيانة صفة اليهود، بين ذلك بلفظ قيل: المراد بأهل الكتاب: اليهود ، لأن هذا القول ﴿قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ لم يقله ولا يعتقده إلاَّ اليهود. وقيل: ﴿مَنْ

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٨، ص٩.
(٢) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج١، ص٥٤.
(٣) السمرقندي، تفسير السمرقندي، ج١، ص٢٤٩.

﴿إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾ هم النصارى لغلبة الأمانة عليهم. و﴿مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ﴾ هم اليهود لغلبة الخيانة عليهم.(١)

بين الإمام الرازي هذه الأقوال حيث ذكر آراء العلماء في المسألة، وبين أن الآية دالة على انقسامهم إلى قسمين بعضهم أهل الأمانة وبعضهم أهل الخيانة، وذكر أن فيه أقوال: الأول أن أهل الأمانة منهم هم الذين أسلموا، أما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة لأن مذهبهم أن يحل لهم قتل كل من خالفهم في الدين وأخذ أموالهم، الثاني أن أهل الأمانة هم النصارى وأهل الخيانة هم اليهود، والدليل عليه ما ذكرنا أن مذهب اليهود أنه يحل قتل المخالف ويحل أخذ ماله بأي طريق.(٢)

وفي الجملة: فإن الله وصف النصارى بأنهم أهل أمانة، وهذه الصفة لهم جميعهم، ودينهم يدعو إلى ذلك. جاء في كتابهم المقدس: "اتَّكِلْ عَلَى الرَّبِّ وَافْعَلِ الْخَيْرَ. اسْكُنِ الأَرْضَ وَارْعَ الأَمَانَةَ، سفر المزامير ٣٧: ٣. وأيضًا: كل رشوة ومظلمة تمحى والأمانة تبقى إلى الأبد"، سفر يشوع ٤٠: ١٢. وأيضًا: "١٤ الصديق الأمين معقل حصين، ومن وجده فقد وجد كنزاً.

١٥ الصديق الأمين لا يعادله شيء وصلاحه لا موازن له.

١٦ الصديق الأمين دواء الحياة، والذين يتقون الرب يجدونه". سفر يشوع ٦: ١٤-١٦.

سادسا: الصفة الخامسة: الفسق:

وهنا نجد لونًا جديدًا من ألوان صفات النصارى في الخطاب القرآني، فما مر معنا من صفاتهم أو بعض أخلاقهم كانت تحمل المدح في ثناياها، والصفة التي نحن بصدد الكلام عليها ليس كذلك، فهي إن لم تدل على ذم فبالتأكيد لن تدل على مدح، وهذه الصفة هي الفسق: أي الخروج. والمقصود هو أن النصارى خرجوا عن تعاليم دينهم فيما يخص العقيدة خاصة، و لم يتبعوا ما أتى به نبيهم فهم بهذا فاسقون، لنقف على الآيات التي

(١) انظر: أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١ج٣، ٤٦١. ج٢، ص٥٢٣.

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ج٨، ص٨٨.

تدل على هذا:

١-قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

٢-وقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨١]

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٧]

الآية الأولى تدل على أن أهل الكتاب فسقوا و لم يؤمنوا، ولو آمن لكان خيرا لهم، والآية الثانية تقول: إن محك الخلاف بيننا وبينهم هو أننا آمنا برسلهم وبما أتوا به من عند الله من تعاليم إضافة إلى الإيمان بمحمد، وهم فاسقون خارجون عن تعاليم رسلهم و لم يتبعوه، والآية الثالثة تقول: موالاة الكافرين للمشركين ضد الكفار سببه أنهم لم يؤمنوا بالنبي محمد، وما أنزل إليه فهم فسقوا وخرجوا عن الإيمان الذي أقر به رسلهم، والآية الرابعة تقول: إن من أتباع عيسى من آمن بمحمد لكن كثير منهم خرجوا عن تعاليم عيسى وهم فاسقون بهذا.

إذا تدبرت معي -أيها القارئ الكريم- لأدركت أن القرآن وصف النصارى بهذا انطلاقًا من مجموع حديثه عنهم، فهو ذكر أهم معتقدهم وبين موقفه منهم، بل قال ما هم عليه اليوم ليس الأصل الذي أتى به نبيهم، بل تم تحريف في كتبهم، وقال أيضًا: إن إنكارهم نبوة محمد واحد من عدة قضايا التي تم فيها التغيير، فابحث بنفسك عن بقية التفاصيل إن أردت الحق والنجاة، فمن النصارى من أدرك هذا فآمن فوصفه القرآن

بالإيمان، ومنهم من بقي خارجًا عن تعاليم عيسى، فلا ضير أن يوصف فاسقًا.(١)

لنورد بعض أقوال أهل العلم في هذا، يقول الزمخشري: "وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ" خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين؛ التوراة والإنجيل".(٢) ولابن كثير الرأي نفسه، فقد قال: ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾أي: قليل منهم من يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم، وأكثرهم على الضلالة والكفر والفسق والعصيان".(٣) وقال معلقًا على الآية الأخرى: "وآمنا بأن أكثركم فاسقون، أي: خارجون عن الطريق المستقيم".(٤) ويقول ابن عاشور: "وكثير منهم فاسقون، أي: وكثير من الذين التزموا دينه -عيسى- خارجون عن الإيمان، فالمراد بالفسق ما يشمل الكفر وما دونه مثل الذين بدلوا الكتاب واستخفوا بشرائعه".(٥)

ولم يخرج رأي الإمام الرازي عن الآراء السابقة، فقد بين معلقا على آية آل عمران أن قوله: ﴿مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾أن المراد عبد الله بن سلاّم ورهطه من اليهود والنجاشي ورهطه من النصارى، الوصف إنما يذكر للمبالغة فأي مبالغة تحصل في وصف الكافر بأنه فاسق؟ والجواب الكافر قد يكون عدلًا في دينه وقد يكون فاسقًا في دينه؛ فيكون مردودًا عند الطوائف كلهم؛ لأن المسلمين لا يقبلونه لكفره والكفار لا يقبلونه لكونه فاسقًا فيما بينهم، فكأنه قيل: أهل الكتاب فريقان منهم من آمن والذين ما آمنوا فهم فاسقون في أديانهم، فليسوا ممن يجب الاقتداء بهم ألبتة عند أحد من العقلاء.(٦) وقال معلقًا على آية سورة الحديد: "ثم قال: وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ أي خارجون عن دينهم

(١) انظر: سيكو مارافا توري، النصرانية في الخطاب القرآني، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم أصول الدين ومقارنة الأديان بكلية معارف الوحي والتراث بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠٠٧. الرسالة عمومًا، والفصل الرابع خصوصًا؛ عقائد النصارى في الخطاب القرآني؛ ص ٩٠ فما بعد.

(٢) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (الرياض: مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨)، ج٤، ص٤٧٥.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص١٠٣.

(٤) المرجع نفسه، جزء ٣، صفحة ١٤٢.

(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٧، ص- ٤٢٥-٤٢٦.

(٦) الرازي، مفاتيح الغيب، ج٨، ص١٥٩.

رافضون لما في الكتابين، وكأنه إشارة إلى أن عدم الخشوع في أول الأمر يفضي إلى الفسق في آخر الأمر."[1] وقال في موضع آخر وهو يتكلم عن الآية نفسها: "ثم قال وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ والمعنى أن بعضهم قام برعايتها وكثير منهم أظهر الفسق وترك تلك الطريقة ظاهرًا وباطنًا".[2]

وملخص القول: هو أن القرآن وصف النصارى بالفسق والخروج عن تعاليم دينهم، وسجل عليهم ذلك يتلى دائمًا وأبدًا، وفي الوقت نفسه، طلب منهم الرجوع لدين من ينتسبون إلى دينه، وهذا جزء من حديث القرآن عن النصرانية.

سابعًا: الصفة السادسة: كتمان الحق واحتكاره:

يصف الله النصارى في القرآن بأنهم يكتمون الحق، وذلك في البقرة: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، ويُقصد به أن جماعة من علماء اليهود والنصارى أخفَوا ما في كتبهم من الحق الذي أنزل على نبيهم، ولا يظهرونه للناس، و لم يقل كل احترازًا من إدخال من لم يكتم الحق، بيـن الرازي مفهوم الآية بأن الذين أوتوا الكتاب وعرفوا الرسول، فمنهم من آمن به، مثل عبد الله بن سلام وأتباعه، ومنهم من بقي على كفره، ومن آمن لا يوصف بكتمان الحق، وإنما يوصف بذلك من بقي على كفره لا جرم قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]

فوصف البعض بذلك، ودل بقوله:" لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ ءَاتَيۡنَٰهُمُ " على سبيل الذم على أن كتمان الحق في الدين محظور إذا أمكن إظهاره.[3] يقول الثعالبي: وإن فريقًا منهم ليكتمون الحق الفريق الجماعة وخص لأن منهم من أسلم و لم يكتم".[4]

(١) المرجع نفسه، ج٢٩، ص٢٠٠.

(٢) الرازي، تفسير الرازي، ج٢٩، ص٢١٥.

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ج٤، ص١١٨.

(٤) الثعالبي، الجواهر الحسان، ج١، ص١١٧. ولعل هذا نوع من التحريف المحكى عنهم، وقد سبق الكلام على هذا، في الفصل الخامس من هذا البحث، المبحث الخامس، النقطة الثالثة حين الحديث عن الإنجيل.

ونجد القرآن كذلك يصف النصارى بأنهم محتكرون للحق، أي: إنهم يقولون ما هم عليه هو الحق دون غيرهم، ولو تدبرنا في هذا لعملنا أنه حاصل كلام كل الأديان، لكن الفرق هو الدليل الحق؛ إذ القرآن أورد بأن ما هم عليه مخالف لما في كتبهم ولما جاء به رسلهم، نفهم هذه الصفة في الآيات التالية:

١- قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[البقرة: ١١١]

٢- وقال أيضًا: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[البقرة: ١١٣].

٣- وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[البقرة: ١٣٥].

واضح أنه يصف القرآن النصارى بأنهم يحصرون الهداية فيهم فقط، وأنهم يُنفون دين الآخر، وخص اليهود بالذكر لاحتكاكهم بهم، ولأنه مفرَق الديانتين، إذ كانت بني إسرائيل مطالب بالإيمان بموسى، إلى أن جاء عيسى، فاختلفوا فيه كما نجد أن القرآن يصفهم، قد يكون بناء على معتقدهم بأن الجنة خالصة لهم من دون الناس. وهذا هو احتكار الحق الذي عناه البحث، ومعلوم أن كل دين يقول بهذا، لكن القرآن قابل هذه الدعاوي بأن لا دليل ولا برهان ولا حجة تدل على هذا، وأن الله هو من يقضي بينهم، أما في الدنيا فإنه يسود فلسفة: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[البقرة: ١٢٠]، بل هذا منطق كل الأديان.

٤- علل ابن عاشور قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة: ١١١]

أنها لزيارة بيان أن المجازفة دأبهم، وأن رمي المخالف لهم بأنه ضال شنشنة قديمة فيهم،

فهم يرمون المخالفين بالضلال لمجرد المخالفة، فقديمًا ما رمت اليهود النصارى بالضلال ورمت النصارى اليهود بمثله، فلا تعجبوا من حكم كل فريق منهم بأن المسلمين لا يدخلون الجنة، وفي ذلك إنحاء على أهل الكتاب وتطمين لخواطر المسلمين ودفع الشبهة عن المشركين بأنهم يتخذون من طعن أهل الكتاب في الإسلام حجة لأنفسهم على مناوأته وثباتًا على شركهم.(1)

وملخص القول هو: أن القرآن قال في حق النصارى: إنهم يكتمون الحق ويبدلونه عن مواضعه، ولشدة تمسكهم بدينهم فهم لا يرون الهدى إلا فيهم، وبالتالي فهم ينكرون المخالف حتى قالوا: إن اليهود ليسوا على شيء من الحق، بل يرون أنه لن يدخل الجنة إلا النصارى، ولهذا عنون الباحثان بأنهم يحتكرون الحق، ديدن كل الأديان، لكن المقياس هو الحجة والبرهان.

وقبل ختام البحث عن صفات النصارى في القرآن، يستحسن القول أن هذا العمل والتبويب قائم على التحليل والاستقراء، فيصح من هذا الباب إدخال صفات أخرى، كما يصح إخراج صفات أخرى ولا ضير؛ لذلك يمكن إضافة **صفة العداوة والبغضاء** -مثلًا- كصفة تحدث عنها القرآن واصفًا النصارى، وذلك في سورة المائدة ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤]، يقول الفخر الرازي: "أي ألصقنا العداوة والبغضاء بهم، يقال: أغرى فلان بفلان، إذا ولع به كأنه ألصق به، ويقال لما التصق به، ويقال لما التصق به الشيء: الغراء، وفي قوله: بَيۡنَهُمۡ وجهان؛ أحدهما بين اليهود والنصارى، والثاني: بين فرق النصارى؛ فإن بعضهم يكفر بعضًا إلى يوم القيامة".(2) إلا أن لابن كثير قول قد يكون أفصح من كلام الرازي، فقد شرح الآية على النحو التالي: أي: فألقينا بينهم العداوة والتباغض لبعضهم بعضًا، ولا يزالون كذلك

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص٦٧٥.
(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ج١١، ص١٥٠.

إلى قيام الساعة، وكذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين، يكفر بعضهم بعضًا، ويلعن بعضهم بعضًا؛ فكل فرقة تُحَرم الأخرى ولا تدعها تَلجُ معبدها، فالملكية تكفر اليعقوبية، وكذلك الآخرون، وكذلك النسطورية والآريوسية، كل طائفة تكفر الأخرى في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.(١) ويقول البيضاوي: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ بين فرق النصارى وهم نسطورية ويعقوبية وملكانية أو بينهم وبين اليهود".(٢)

ويمكن إضافة صفة اللعنة كذلك، انطلاقًا من الآية: فقد ذكر الرازي أن أصحاب المائدة من قوم عيسى ملعونين، وعلى هذا لا تكون اللعنة لكل النصارى، وذكر قولًا ثانيًّا وهو أن من لم يؤمن بمحمد -عليه السلام- من النصارى ملعون على لسان عيسى، فقد ذكر أن أصحاب المائدة لما أكلوا من المائدة ولم يؤمنوا، قال عيسى: اللّهم العنهم كما لعنت أصحاب السبت؛ فأصبحوا خنازير، وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي. وذكر الرأي الثاني على صيغة تضعيف بقيل أن داود وعيسى -عليهما السلام- بشرًا بمحمد -صلى الله عليه وسلم- ولعنا من يكذبه وهو قول الأصم.(٣)

فيمكننا القول أن القرآن وصف النصارى بالعداوة والبغضاء الحاصل بين فرقهم.

وقد مهد الباحثان في بداية هذا المبحث بمدخل وتمهيد، يري من خلاله أن لا تعارض بين ما أثبت القرآن من صفات مدح وصفات ذم للنصارى، فقد رأينا أن كل صفات المدح في مجال الأخلاق والسلوك، بينما الصفات الأخرى، أي التي تفيد الذم في مجال العقيدة والإيمان، وهذا هو جوهر الخلاف بين المسلمين والنصارى، فما نقول به من أخلاق يقولون هم بها، أما الاختلاف ففي العقيدة، ويرى القرآن أن السبب في تغيير العقيدة عندهم هو الفسق والخروج عن مسار رسالة عيسى، وكتمانهم ما في التوراة من دلائل النبوة، وهكذا.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٦٧.
(٢) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج١، ص٣٠٦.
(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٢، ص٣٥.

خاتمة البحث والنتائج والتوصيات

الحمد لله أولًا وآخرًا، ثم الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات، والصلاة والسلام على آخر رسل الله محمد بن عبد الله خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد؛ فيرجو الباحثان أن يكونا قد وُفقا لبيان صفات وأخلاق النصارى في الخطاب القرآني، والذي بدوره يسهم في إبراز مكانة القيم الإنسانية وأهميتها ومنزلتها في القرآن الكريم، فالتواضع وعدم التكبر والرحمة والرأفة والمودة والأمانة قيم إنسانية تدعو إليها كل عاقل، وهي قوام كل الأديان، بل وهي قوام القوانين الوضعية، ولقد دعت إليها القرآن الكريم بما لا يخفى على كل مسلم وعلى كل مطلع غير مسلم؛ بل إن القرآن يبين أنها دعوة عيسى، فتحلى بها قومه ومن اتبعه، وإن الفسق وكتمان الحق من الصفات المذمومة التي يؤمن كل عاقل بضرورة التخلي عنها، كل هذا نتيجة ما أودع في الإنسان من فطرة وعقل سليم.

وإن هذا البيان القرآني لكفيل بالنصارى وأصحاب الديانات الأخرى إلى التفكير مرة بعد مرة، في محاولة استجلاء حقيقة الدعوة الإسلامية، انطلاقًا مما يتصف به القرآن من أمانة علمية وموضوعية في حديثه عن قضاياه ومسائله، وأن عين القرآن ليس إلا وراء الحق والحقيقة، ولا ضير من نسبة الصفة الحسنة إلى المخالف (الكافر) إذا كان متحليًّا به، بل قد يكون طريقا لفتح باب دعوته إلى الإسلام. وسينهي البحثان دراستهما هذه بذكر **أهم النتائج** وبعض التوصيات، وهي كالآتي:

١. القرآن ليس إلا دعوة للناس إلى ما يتوافق مع العقل والفطرة من قيم إنسانية سامية.

٢. وإن المسلمين هم أصحاب القيم السامية، والمسلم الحق بعيد عن الهمجية والفوضى والفساد في الأرض.

٣. القرآن يسعه الآخر، ويحتضنه دون خنق؛ لأن ليس فيه ما يُخفى، كل قضاياه مطروحة في الساحة لجميع الناس، فليتدبرها أصحاب العقول؛ لذا يجدر التزام الموضوعية دومًا وعلنًا.

٤. ولذلك وصف النصارى بصفات خالدة إلى يوم الدين، هذه الصفات تعد جزءًا مهما من القيم الإنسانية في القرآن، وفي الوقت نفسه يدل على موضوعية القرآن، وسعيه وراء الحق دومًا.

٥. فيوصي البحث على إثر هذا، بلفت نظر العلماء إلى دراسة وبحث ما يوجد في القرآن من مثل هذا، وعدم الاكتفاء على الطريقة التقليدية في الدراسات القرآنية، فهذا من متطلبات العصر.

٦. وإن ضرورة سيادة العالم الإسلامي من الناحية الأخلاقية فعليًّا –لا نظريًّا–، لأمر يوصي البحث به.

٧. أخيرًا، خلافنًا مع الآخر في العقيدة لا في التحلي بالأخلاق الحميدة أو التخلي عن المذمومة منها، وفي هذا يأتي دور الدعوة والإقناع (التبليغ) واحترام ما يعتقد الآخر دون إكراه كما يقرر الإسلام.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١. ابن عاشور، محمد الطاهر، (١٩٩٧)، **التحرير والتنوير**، تونس: دار سحنون.

٢. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (١٩٩٩)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الرياض: دار طيبة.

٣. البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، (٢٠٠١)، **تفسير البيضاوي**، بيروت: دار الكتب العلمية.

٤. توري، سيكو مارافا، **النصرانية في الخطاب القرآني**، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم أصول الدين ومقارنة الأديان بكلية معارف الوحي والتراث بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠٠٧.

٥. الرازي، محمد فخر الدين، (١٩٨١)، **مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير**، بيروت: دار الفكر.

٦. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر. (١٩٩٨). **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، الرياض: مكتبة العبيكان.

٧. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، (د.ت)، **تفسير السمرقندي**، تحقيق: محمود مطرجي، بيروت: دار الفكر.

٨. الشرقاوي، محمد عبد الله، (٢٠٠٢)، **بحوث في مقارنة الأديان**، القاهرة: دار الفكر العربي.

٩. الشعراوي، محمد متولي، (١٩٩١)، **تفسير الشعرواي**، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية.

١٠. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، (٢٠٠٠)، **جامع البيان والحكم**، تحقيق أحمد محمد شاكر. بيروت: مؤسسة الرسالة.

١١. المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد و والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (د.ت)، **تفسير الجلالين**، القاهرة: دار الحديث.

١٢. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد، (٢٠٠٥)، **تفسير النسفي**، بيروت: دار النفائس.

١٣. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، (١٩٩٢)، أسباب النزول، (الطبعة الثانية) الدمام: دار الإصلاح.